

Study of the Examination of Ashura Remembrance in Ibn Shakil Al-Andalusi's Poem

Mojtaba Emranipour^{1*}, Mehran Gholam Ali Zadeh²

1. Assistant Professor, Department of Arabic, University of Tehran, College of Farabi,
Qom, Iran

2. Ph.D. Candidate, Department of Arabic, University of Tehran, College of Farabi,
Qom, Iran

(Received: December 19, 2018; Accepted: August 27, 2019)

Abstract

The personality of Imam Hossein (as) and the events of the eternal Day of Ashura are among the highly addressed topics in the Islamic literature. Many poets in Islamic countries have addressed this event with honesty and inner purity, and have composed marvelous poems. Ahmad ibn Shakil (578 – 605 AH) is one of the talented poets of Al-Andalus whose lifetime coincided with the Islamic dominance era. He is a Shi'a poet of Al-Andalus during The Almohad caliphate. He utilized Shi'a concepts such as the al-Tathir verse, Hadith Kisa (Tradition of the Cloak), Hadith Manzelat [Tradition of Dignity], and Ashura in his poems. Ibn Shakil has composed two odes about Ashura and elegy of Imam Hossein (as), in which he refers to and mourns for happenings before Imam Hossein's martyrdom, such as the loyalty and bravery of Imam Hossein's companions, closure of the Euphrates branch and Imam and his companions' thirst, and his aloneness, as well as the events after his martyrdom, such as his holy head being mounted on a spear and captivity of his family. This article describes and analyzes the content of this Shi'a poet's poems about Ashura.

Keywords

Imam Hossein^(AS), Ashura, Shia's Poems, Ibn Shakil al-Andalusi.

* Corresponding Author, Email: emranipour@ut.ac.ir

دراسة وقعة عاشوراء في شعر ابن شكيل الأندلسي

مجتبی عمرانی پور^١، مهرا ن غلامعلی زاده^٢

١. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، فردیس الفارابی، قم، ایران
٢. طالب الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، فردیس الفارابی، قم، ایران

(تاریخ الاستلام: ٢٠١٨/١٢/١٩؛ تاریخ القبول: ٢٠١٩/٨/٢٧)

الملخص

شخصية الإمام الحسين بن علي عليه السلام وملحمة عاشوراء الخالدة من الموضوعات التي تناولها كثير من الشعراء في الأدب الإسلامي فأنشدوا فيها قصائد رائعة معبرة عن صدقهم وإخلاصهم. وكان ابن شكيل (٥٧٨-٦٠٥هـ) من أشهر شعراء الشيعة الأندلسيين في عصر الدولة الموحدية، فاستخدم في شعره ثيمات شيعية كآية التطهير وحديث الكساء وحديث المنزلة ووقعة عاشوراء، كما أنشد قصيدتين في وقعة عاشوراء ورثاء الإمام الحسين عليه السلام ووعبر في طياتهما بوفاء أصحاب الحسين وبسالتهم مشيراً إلى منع الماء عنهم ومعاناتهم في مواجهة العطش، كما أشار إلى غربتهم، واستشهادهم فحمل رؤوسهم على الرماح ومصائب أهلهم بعد الاستشهاد. وتسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مضامين قصائد الشاعر في ثورة عاشوراء وبعض جماليات شعره من منظار المنهج الوصفي- التحليلي. حينما ندرس القصيدتين نرى بأنهما تتميزان بميزة العطفة والصدقة تتبعان من تشيع الشاعر. وإضافة على وصفه الدقيق ومضامينه الرصينة، تظهر آراء الشاعر في كيفية اختيار المفردات والتراكيب والتقدم والتأخر في الأبيات.

الكلمات الرئيسية

الإمام الحسين عليه السلام، عاشوراء، الشعر الشيعي، ابن شكيل الأندلسي، الجماليات.

مقدمة

لا شك أنّ الشعر الذي ينشده الشعراء بوقعة الطف يعد جزءاً هاماً من أدب المقاومة بين الشعوب وهذا هو الأدب الذي يعبر بصورة حقيقية عن الجدل بين الحق والباطل وقد قيل عن هذا الشعر بأنه «يتناول ما يتعلق بنهضة الإمام حسين عليه السلام وأخبارها التي تؤدي إلى شهادته عبر تاريخ البشرية من النبي آدم إلى خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وآله والحوادث المتعلقة بهذه النهضة من مكة إلى كربلاء ومن كربلاء إلى مدينة ومكة» (مجاهدي، ١٣٧٩: ٤٧-٤٨). ولا تختص شخصية الإمام الحسين عليه السلام وملحمة عاشوراء لمذهب أو بلاد خاصة بل لها مكانة مرموقة في أنحاء العالم عند أيّ مذهب وملة. قد تبلورت وقعة الطف في ثنايا القصائد والنصوص واهتمّ الشعراء الكبار بهذه الوقعة وأنشدوا أشعاراً مملوءة بالحزن والأسى. إنّ شعراء بلاد الأندلس ماغفلوا عن هذا الموضوع وفي فترة حكم بعض الدول كبنو حمود والموحدين، أنشدوا أشعاراً في رثاء الحسين وأصحابه. ومنهم أبو العباس أحمد بن شكيل الذي أنشد بعض القصائد في الموضوعات الدينية والشيعية عامة ورثاء الحسين وواقعة عاشوراء بصورة خاصة. يستهدف هذا البحث بتقويم هذا الشاعر الشيعي ودراسة مضامين شعره الملفوفة في طياتها قضية عاشوراء. والحاجة التي أجبرتنا على الإتيان بهذه الدراسة وهذه الشخصية هي العوامل المتعددة التي طوت كثير من شعراء الشيعة في دفتر النسيان لأسباب ما والحفاظ على ذكرى هؤلاء الشعراء تعتبر مسؤولية كبيرة على عاتق الباحثين. نبدأ البحث بترجمة ملخصة لهذا الشاعر الشيعي ثمّ ندرس مضامين شعره وبعض الصور البلاغية التي استخدمها في شعره. الركيزة التي يجب ملاحظتها هي أن الغاية من هذه الدراسة ليست سرد الوقائع التاريخية وتحليلها؛ لأنّ وقعة الطف ليست مجهولة عند الناس وقد اهتمت الكتب التاريخية بها بالتفصيل فلا نفسّر هذه الوقائع تفسيراً تاريخياً بل نبينها في شعر ابن شكيل الأندلسي وندرس بعض أساليبه البلاغية.

سؤال البحث:

كيف رسمت صورة ملحمة عاشوراء وسجايا الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره وعداوة أعدائه في شعر ابن شكيل الأندلسي؟

فرضية البحث:

حينما ندرس قصائد الشاعر حول ملحمة عاشوراء نرى بأن إضافة على أوصافه الدقيقة ومضامينه الرصينة برزت آراء الشاعر في كيفية اختيار المفردات والتراكيب والتقديم والتأخر والأساليب البلاغية في الأبيات.

أهداف البحث:

- تقديم ابن شكيل الأندلسي كشاعر شيعي
- دراسة عاشوراء والطف في ديوان الشاعر
- دراسة كيفية رسم الشاعر لصورة أنصار وأعداء أهل البيت عليهم السلام.

خلفية البحث:

هناك العديد من البحوث والدراسات تمحورت حول الإمام الحسين عليه السلام وشعر الطف في الأدب العربي. وفي بعض المقالات، تم عرض شعر عاشوراء في آثار بعض الشعراء والأدباء أمثال شريف رضي وشريف مرتضى وغيرهم. ولكن على حد علمنا لم تتم الدراسة في الشعر الطف لابن شكيل الأندلسي حتى يومنا هذا ويمكن أن يكون سبب هذا عدم الكشف عن هوية الشاعر وعدم الوصول إلى قصيدة من قصائده. نتمكن أن نشير ببعض المقالات التي تضم موضوعات قريبة لموضوع البحث منها:

الف) «بازتاب اندیشه‌های شیعی در اشعار ابن شکیل اندلسی»، مجتبی عمرانی پور، مجلة شيعة شناسي، العدد ٥٨، ١٣٩٦.

قام الباحث بعرض ودراسة في شعر الشاعر الأندلسي كالعقائد الشيعية لكنه لم يدرس أشعاره لوقعة الطف.

ب) القرآنية في شعر ابن شكيل الأندلسي، كريم ضباب مطر، مجلة العميد، السنة: ٢٠١٨ المجلد: ٤ العدد: ١٦

اعتنى هذا البحث بالقرآنية في نتاج ابن شكيل الأندلسي الشعري.

ج) "نگاهی تاریخی به مضامین و اسلوب‌های شعر شیعی در ادب اندلس"، حسين حاتمي، پروين زماني، محمد رضا بيگي وپوريا اسمعيلي، مجلة: تاريخ اسلام در آينه پژوهش، الربيع ١٣٨٨ - العدد ٢١

قام الباحثون بدراسة تاريخ الأندلس والشيعية في تلك البقعة وقدموا بعض شعراء الشيعة ودرسوا في سطور ابن شكيل كشاعر شيعي ولكن هذه السطور القليلة لا ترسم بريشتها صورة شعر الشاعر كاملة على صفحة الأبيات.

(د) "ثورة الحسين عليه السلام في التراث الأندلسي"، رضا هادي عباس، مجلة اهل البيت، ربيع الأول ١٤٣٠، العدد السابع. يذكر المؤلف تاريخ الشيعة في الأندلس وفي قسم قصير جداً ذكر بعض شعراء الشيعة الأندلسيين ولا يذكر شيئاً عن شاعرنا.

(هـ) "الإمام الحسين عليه السلام في أدب الأندلس"، حسين جوبين، آفاق الحضارة الإسلامية، صفر ١٤٢٥، العدد ١٣. في هذا المقال، أشار الكاتب إلى الشعراء الشيعة وبعض شعراء الشيعة الأندلسيين دون ابن شكيل.

(و) "مأساة الحسين في الأدب الأندلسي" عبدالسلام هراس، المناهل، العدد ١١، ١٢، ١٤. في هذا المقال، تناول المؤلف أولاً التاريخ الشيعي في الأندلس، ثم درس واقعة عاشوراء في شعر شعراء أندلس دون أن يتطرق إلى ابن شكيل.

(ز) "تاريخ يدايش تشيع در اندلس"، ميرابوالفتح دعوتي، كيهان انديشه، الشتاء ١٣٧٥، رقم ٧٠. يدرس الباحث في هذا البحث آراء مختلفة حول الشعر الشيعي في الأندلس دون ذكر شاعر من شعرائهم.

ترجمة ابن شكيل الأندلسي

أبو العباس أحمد بن أبي الحكم يعيش بن علي بن شكيل بفتح الشين الصدقي الأندلسي من أهل "شريش" كان مولده سنة ثمان وسبعين وخمسائة، وتوفي معتبطاً سنة خمس وستمئة، وكانت وفاته في ريعان شبابه وإبان فتوته ولم يجاوز السابعة والعشرين. أخذ ابن شكيل عن مشيخة بلده، فدرس العربية كما درس علم الكلام وسمع الحديث من أبي الحسين بن زرقون (ت ٦٢١هـ) كما صحب القاضي أباحفص عمر بن عبد الله السلمي (ت ٦٠٣هـ) فعلى يد طائفة من أعلام القضاة والمحدثين تكونت ثقافة الشرعية والحديث واللغوية حتى أنه ولي قضاء بعض الكور على حداثة سنة في مجال القضاء وكان يقول الشعر، وكان شعره مدوناً في ديوان لأن ابن الأبار (ت ٦٥٨هـ) قال في "تحفة القادِم": وله ديوان شعر وقفت عليه. (ابن الأبار، ١٤١٥: ج ٨٧/١؛ ابن الأبار، ١٤٠٦: ١٤٠: المقري، ١٣٩٨: ٣٦٧؛ الصفدي، ١٤٢٠: ١٨٠؛ الزركلي، ٢٠٠٢: ٢٧١)

جمعت الباحثة "حياة قارة" شعر ابن شكيل من أحد عشر مصدراً^١ في كتاب معون ب"أبو العباس أحمد بن شكيل الأندلسي شاعر شريش". يحتوي الكتاب على أشعاره في المدح والثناء والوصف وشعره الصوفي. إن وصف الطبيعة من الأغراض والميزات الرئيسية في شعر الأندلسيين فلا يخلو ديوان شاعرنا من هذا الغرض كما يصف الشاعر الحمام والتفاحة. النقطة الجديدة بالذكر في أشعاره هي عقائده الشيعية التي تدل على إيمانه الخالص في ظل حكومة الموحدين. وفي ديوانه أربع قصائد ذات صلة بتشيعه وهي:

١. الحائية في رثاء الإمام الحسين عليه السلام تحتوي ٢٥ بيتاً من البحر البسيط؛

٢. الفائية في رثاء الإمام الحسين عليه السلام تحتوي ٣٥ بيتاً من البحر الكامل؛

٣. البائية في تفضيل أهل البيت وتطهيرهم تحتوي ١٠ أبيات من البحر البسيط؛

٤. اللامية في تفضيل أهل البيت وتطهيرهم تحتوي ١٢ بيتاً من البحر الطويل.

جدير بالذكر أن نقول إن القصائد التي يقوم هذا البحث بدراستها، أنشدت في البحر البسيط والكامل ويرى البلاغيون بأن لكل وزن غرض خاص وبنسبة البحر البسيط والكامل يقال «... فأعلاها درجة في ذلك الطويل والبسيط. ويتلوها الوافر والكامل. ومجال الشاعر في الكامل أفسح منه في غيره» (القرطاجني، ٢٠٠٨: ٢٤١). فاستخدم ابن شكيل البسيط والكامل في هاتين القصيدتين لمنزلتهما وقدرتهما في بيان المضامين العالية وأوصافه الجليلة لأهل البيت عليهم السلام وبيان شدة قساوته وانزجاره حينما يهجو أعدائهم.

١. هذه المصادر هي:

- ١- أزهار الرياض للمقري
- ٢- تحفة العروس ونزهة النفوس. التجاني
- ٣- تحفة القادم لابن الأبار
- ٤- الحسن والجمال لابن هذيل القرطبي (نقلاً عن ابن أبي الجلاب في روح الشعر) لم تذكره المحققة في المصادر والمراجع.
- ٥- رايات المبرزين لابن سعيد
- ٦- كنز الكتاب ومنتخب الآداب لأبي اسحاق البونسي
- ٧- ملح السحر من روح الشعر وروح الشجر. ابن ليون التجيبي
- ٨- المغرب في حلى المغرب لابن سعيد
- ٩- المقتضب.
- ١٠- نفع الطيب للمقري.
- ١١- الوافي بالوفيات. لصلاح الصفدي.

ملحمة عاشوراء في شعر ابن شكيل الأندلسي

عالج عدد غفير من الشعراء والأدباء وقعة عاشوراء من زمن استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه إلى يومنا هذا. بإمكاننا أن نشاهد أمثلة جميلة تتبع من قلوب الشعراء في كتاب (أدب الطف) لسيد جواد شبر ومع ذلك في هذه الكتب والمقالات التي ذات صلة بالطف لم يُشار إلى ابن شكيل وقصائده الطفية. كما أشرنا سالفاً في مجموعة أشعاره بقيت قصيدتان في رثاء الإمام الحسين عليه السلام: قصيدة حائية وقصيدة فائية. في هذا القسم من البحث نقوم بدراسة هاتين القصيدتين.

مقدمة القصيدتين

إنّ الشاعر يقدم أبياتاً كمقدمة القصيدة قبل الدخول في صلب الموضوع يعني حادثة عاشوراء والإمام الحسين عليه السلام. تحتوي مقدمة القصيدتين نقطتين هامتين: الأولى هي خطاب البرق؛ والثانية هي مدح النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي والإمام الحسن عليهما السلام.

خطاب البرق

إنّ الشاعر يخاطب البرق في بداية القصيدتين. ويستمد من البرق بسبب سرعته ليصل إلى الممدوح وهذا يدل على حب وشوق الشاعر للوصول إلى الممدوح. هذه القضية ليست جديدة بحد ذاتها في الشعر العربي فيخاطب ابن أبي الحديد البرق في مقدمة قصيدته العينية في مدح الإمام علي عليه السلام:

قَد قُلْتُ لِلْبَرْقِ الَّذِي شَقَّ الدُّجَى فَكَأَنَّ زَنْجِيًّا هُنَاكَ يُجَدِّعُ
يَا بَرْقُ إِنْ جِئْتَ الْغَرِيَّ فَقُلْ لَهُ أَتَرَكَ تَعْلَمُ مَنْ بِأَرْضِكَ مُودَعُ

(ابن أبي الحديد، ١٢٧٤: ١٢١)

كما بدأ أبوتمام قصيدته في مدح حسن بن وهب بخطاب البرق:

يَا بَرْقُ طَالِعَ مَنزِلًا بِالْأَبْرِقِ وَاحِدُ السَّحَابِ لَهُ حُدَاءُ الْأَنْبِيَقِ

(أبوتمام، لا تا: ٤٠٦)

وأيضاً يخاطب البحري البرق في قصيدة مدح بها حسن بن مخلد وبمقارنة البرق والممدوح يعبر من المقدمة إلى الموضوع الرئيسي:

يا بَرْقُ أَفْرِطِ فِي اعْتِلَائِكَ أَوْ صُوبِ بَجْـودِكَ وَأَنْهَمَائِكَ
أَوْ كَثُفِ الظُّلْمَاءِ بِالْـ نُورِ المُضِيِّ مِنْ أَنْجِلَائِكَ
مَا أَنْتَ كَالْحَسَنِ بْنِ مَخْـ لَدَيَّ فِي إِقْتِرَابِكَ وَأَنْتَوَائِكَ
(البحثري، لا تا: ٢٣)

وكذلك الصنوبري:

يا بَرْقُ لَا عُدَّتْ ذَاكَ الْأَبْرَقَا وَأَطْلَسَتْ فِيهِه تَلَالُؤًا وَتَأَلُّقَا
وَجَمَعْتَ شَمَلَ المَزْنِ فِي الدَّارِ الَّتِي أَلْفَيْتَ شَمَلَ جَمِيهَا مَتْفِرَقَا
(الصنوبري، ١٩٩٨: ٣٧٤)

يخاطب ابن شكيل البرق في قصيدته الفائية ويرافق البرق في الأمكنة المقدسة - مكة

والمدينة - كي يصل إلى قبر النبي ﷺ ويبيكي:

يا بَرْقُ بَرْقًا بَيْنَ مَرَوَةٍ وَالصَّفَا بَاكِرِ سُقْيَا الحَجِّ دِينًا قَدْ عَفَا
وَأَهْدِ الحَجَّيجَ إِلَى مَعَالِمِ مَكَّةِ فَلَقَدْ تَرَكْتَهُمْ حَيَارَى وَقَفَا
حَمَلِ عِمَامَكَ دِيْمَةً مِنْ زَمَزِمِ وَأَنْضَحِ بَرِيَّاهَا القُلُوبَ الرُّجْفَا
وَإَكْحَلِ جُفُونِي مِنْ سَوَائِفِ رِيحِهَا إِنِّي أَشِحُّ بِتُرْبِهَا أَنْ يَنْسِفَا
بَيْنَ الحُجَّوْنِ إِلَى الحَظِيمِ لِأَحْمَدِ أَثَرُ زَكَا مِنْهُ الثَّرَى وَتَشْرِفَا
بِمِنَى بِجَمْرَتِهِ إِلَى عَرَفَاتِهِ نَاهِيكَ مَسْمَعِي لِلنَّبِيِّ وَمَوْقِفَا
وَالْحَجَرِ وَالْحَجَرِ الْأَحْمُ تَأَلَّقَتْ أَنْوَارُهُ فَبَابِ الهُدَى أَنْ تُكْسِفَا
وَمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ يَدْعُو رَبَّهُ قَدْ أَثَرْتَ قَدَمَاهُ فِي صَمِّ الصِّفَا
وَالْبَيْتِ ذُو الْأَسْتَارِ تَمَسَّحُ رُكْنَهُ وَرُقِّ الحَمَامِ عِيَاذَةً وَتَعَطُّفَا
يَا لَيْتَ أَنِّي فِي ذَرَاهُ حَمَامَةٌ أَدْعُ الهَدِيلَ سُدَى وَأَبْكِي المُصْطَفَى

(ابن شكيل، ١٩٩٨: ٦٥؛ اليونسي، ٢٠٠٤: ٤٥٩)

إن الأمكنة المقدسة التي تقع في الجزيرة العربية مهمة للغاية عند المسلمين حيث تذكرهم بالنبي وأهل بيته ﷺ. من الممكن أن نعتبر أسلوب الشاعر كأسلوب الشعراء القدامى في الأدب العربي الذين كانوا يبدؤون قصائدهم بذكر أطلال ديار الحبيب ودمنها وهذه المقدمات التي تُعرف بالمقدمات الطللية، ذات قيمة هامة لأنها تذكر بذكر الحبيب وحبه وهذه تملأ القصيدة طاقة عاطفية مليئة بالتوجع والبكاء. كان هذا الأسلوب البياني شائعاً بين شعراء العرب خاصة عند شعراء الجاهلية.

إنّ ابن شكيل يريد من البرق أن يأخذه نحو الصفا والمروة والزمزم والعرفات وركن الحطيم وسائر الأماكن المقدسة في مكة كي يحلّ عيونه بتربته ويريح قلبه وهذا السفر هو سفر روحي لا الجسمي لأنّ الشاعر يتمني في البيت الأخير أن يكون حمامة ويطير نحو الحرم كي يستبدل سفره من الروح الى الجسم. إنّ الفصل بين المقدمة والموضوع الأصلي في هذه القصيدة صعب جداً لأنّ الشاعر يقوم دون تأني بمدح النبي ﷺ وراثته.

خطا الشاعر في قصيدته الحائية هذه الخطوة فيخطب البرق ويسير في طريق مكة كي

يطوف ببيت الله:

يا أيها البرق إني عنك في شغلٍ دون المزار فياف بيننا فيحُ
تخدي النجائب حولا في نفاينها لا يأتلهن إعياء وتطليحُ
وكيف بالسير في جرداء ببقعة أقرى مراتمها الفيصوم والشيحُ
وسوف أجشم نفسي سير تلك إلى بيت أطاف به في فلكه نوحُ

(ابن شكيل، ١٩٩٨: ٤٧؛ البونسي، ٢٠٠٤: ٤٥٣-٤٥٤)

لهذه القصيدة مقدمة كتصائد القدماء؛ فالشاعر كان يركب على مركبه ويتجه نحو البيداء وبعد معاناة الطريق يصل إلى ممدوحه. فأنشد بيت التخلص في هذه القصيدة بنمط القدماء. يقول ابن طباطبا حول التخلص لدى الشعراء الأوائل: «... مذهب الأوائل في ذلك واحد، وهو قولهم عند وصف الفيافي وقطعها بسير النوق، وحكاية ما عانوا في أسفارهم: إنا تجشمتنا ذلك إلى فلان يعنون الممدوح» (ابن طباطبا العلوي، ٢٠٠٥: ١١٥).

كما أن الشاعر استخدم في هذه القصيدة لفظ «أجشم» للولوج في الغرض الأصلي قائلاً:

إنه يعاني معاناة السفر في الصحارى للوصول إلى النبي ﷺ.

النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام:

قد اختص ابن شكيل عدة أبيات من مقدمة القصيدتين برثاء النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام والإمام حسن عليه السلام إنّ هذا الموضوع نسبة الى رثاء الإمام الحسين عليه السلام وقضية عاشوراء - التي تعتبر الموضوع أصلي - يعتبر موضوع فرعي ويمثل أبيات قليلة من القصيدة.

قام الشاعر بإنشاد أبيات في رثاء النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام بعد المقدمة ويأخذ

على بني أمية وابن ملجم بشهادة وصي النبي الحق:

يا عَيْنُ بَكِّي لِلدَّفِينِ بِطَيْبَةِ
أَخْوَيْنِ خَيْرُهُمَا بِحَرَّةٍ يَثْرِبِ
شُلَّتْ يَمِينُ الْمُجَمِّيِّ فَإِنَّهُ
أَرَتِ الشَّمَاتَةَ بِالْوَصِيِّ أُمِّيَّةً
وَدَّتْ أُمِّيَّةً لَوْ يَصَابُ بِسَيفِهَا
أَشْفَاكُمْ مِنْ يَوْمِ بَدْرٍ قَتَلَهُ
وَلَمْفَرِقٍ بِدَمِ الْوَصِيِّ تَغْلَفَا
ثَاوٍ وَأَخْرُ بِالْعِرَاقِ تَخَلَّفَا
تَرَكَ الْإِمَامَةَ بِالْإِمَامِ عَلَى شَفَا
لَا سَرَّهَا قَتْلُ الْوَصِيِّ وَلَا شَفَى
يَكْفِيكَ جَمْرًا يَا أُمِّيَّةُ لَوْ كَفَى
تَلِكَ الشَّهَادَةَ مَا بِذَلِكَ مَنْ خَفَى
(ابن شكيل، ١٩٩٨: ٦٥؛ اليونسي، ٢٠٠٤: ٤٦٠)

إنَّ المحققة وجامعة أشعار ابن شكيل جاءت بشرح حول المصراع الأول للبيت الثاني: «يقصد الحسن رضي الله عنه مات في المدينة سنة تسع وأربعين للهجرة» وحيث تذكر المصراع الثاني لنفس البيت الذي «يشير إلى الحسين كرم الله وجهه قتل يوم الجمعة يوم عاشوراء سنة إحدى وستين بالطف من شاطئ الفرات بموضع يدعى كربلا» (ابن شكيل، ١٩٩٨: ٦٦)

جدير بالاهتمام أن نقول لم يدخل الشاعر في مدح الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام بعد، بل المراد من أخوين هو النبي صلى الله عليه وآله الذي دُفن في المدينة والإمام علي عليه السلام الذي دُفن في النجف ولأجل هذا أيضاً يشير إلى ابن ملجم في البيت الثالث ويوم البدر في البيت السادس. فتشير هذه الأبيات إشارة جميلة إلى الإخاء بين النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام وما فهمت المحققة غاية الشاعر من هذا البيت فهما صحيحا.

حينما نعمن النظر في الأبيات نرى بأن الشاعر أولاً يقصد زيارة النبي صلى الله عليه وآله بسبب مرتبته الأولى وبعده زيارة الإمام علي عليه السلام وبعدهما يقصد زيارة الإمام الحسن والحسين عليهما السلام.

وبعد هذه الأبيات، يشير الشاعر إلى الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام سبطي النبي صلى الله عليه وآله وبيكي عليهما ويعتبر هذا البيت مدخلا للدخول في قضية كربلا ومصائب أهل البيت:
وَأَبِي عَلَى السَّبْطَيْنِ بَعْدَ أَبِيهِمَا
حُبًّا لِحَدِّهِمَا الرَّحِيمِ الْأَرْفَا
(ابن شكيل، ١٩٩٨: ٦٦؛ اليونسي، ٢٠٠٤: ٤٦٠)

يقتبس الشاعر في هذا البيت آيتين من القرآن الكريم: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ» (التوبة/١٢٨) و«قُلْ لَأَسْأَلَنَّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» (الشورى/٢٣) كي يشير إلى أن ذوي القربى هم سبطا النبي صلى الله عليه وآله وأولادهما. والبكاء لهما ولأبيهما هي إحدى علائم مودتهم ومودة جدّهما، هو الذي عرفه القرآن بأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم.

إنَّ الشاعر في قصيدته الحائية بعد ذكر المقدمة يذهب إلى مدينة النبي ﷺ لزيارته
ثم إلى كربلا:

قَبْرُ بَيْتِ رَبِّ هَمِّي لَوْ ظَفَرْتُ بِهِ وَمَقْصِدُ بَجْبَالِ الطَّفِّ مَطْرُوحٌ
مَنْ كَانَ فِي جَفْنِهِ دَمْعٌ يَضِنُّ بِهِ فَإِنَّ دَمْعِي لِأَهْلِ الْبَيْتِ مَمْنُوحٌ
أَلِ النَّبِيِّ لَقَدْ سُقِّيْتُمْ عَلَّامًا كَأَسَ السَّمَايَا فَمَغْبُوقٌ وَمَصْبُوحٌ

(ابن شكيل، ١٩٩٨: ٤٧-٤٨؛ اليونسني، ٢٠٠٤: ٤٥٤)

في هذه القصيدة في مصرع يفصل الشاعر عن قبر النبي ﷺ ويدخل في الموضوع الرئيسي وغرضه النهائي هو الوصول إلى الإمام الحسين ﷺ وراثته وفي بداية الأمر يشير إلى وحدة الإمام وغربته حينما يستخدم كلمة (المطروح) كما نرى في المعاجم حول هذه الكلمة يقال: طرحه جانباً: أهمله وتركه (ابن منظور، ١٤١٤: مادة طَرَحَ) فالشاعر يشير إلى وحدة الإمام في واقعة عاشوراء ونتمكن أن نقول تشير هذه الكلمة إلى خطبة الإمام سجاد ﷺ في الشام بعد واقعة عاشوراء حينما قال: «أنا ابن المقتول ظلماً، أنا ابن المجزور الرأس من القفا، أنا ابن العطشان حتى قضى، أنا ابن طريح كربلا، أنا ابن مسلوب العمامة والرداء، أنا ابن من بكت عليه ملائكة السماء» (مجلسي، ١٤٠٢: ج١٣٨/٤٥٥). وفي البيت الثاني يستخدم استفهاماً إنكارياً كي يختصّ الدموع لأهل البيت. من الممكن أن يكون هذا البيت جملة شرطية وعلى هذا الأساس، سيجد الشاعر نفسه منفرداً في رثاء أهل البيت ولكن هذا الرأي لا يكون صحيحاً؛ لأنَّ البكاء على مصائب ومناقب أهل البيت لا يقتصر على شخص ومكان وزمان خاص وفي البيت الثالث يذكر مناقب أهل البيت مع استخدام أسلوب النداء.

إنَّ الشاعر يختار كلمة (سُقِّيْتُمْ) بدلاً من (سُقِّيْتُمْ) بصورة مشددة حتى تدلّ على كثرة مصائب أهل البيت. وجدير بالذكر أن نقول هناك فرق بين هذه القصيدة والقصيدة السابقة إنَّ في هذه القصيدة يتذكر الشاعر في أن مآسي أهل البيت في كربلا بعد ذكر النبي ولا نرى أثراً من رثاء الإمام علي ﷺ والإمام الحسن ﷺ بصورة منفردة.

وأيضاً يختار الشاعر كلمة (سقي) بصورة مجهولة (سُقِّيْتُمْ) وإنَّ علماء البلاغة يعتقدون بأنَّ إحدى الميزات للفعل المجهول هي دلالته على العمومية. (السامرائي، ١٤٢٣: ج١٤٣/٢) وهذا الفعل هنا يدل بأنَّ أهل البيت ﷺ تأدّى ظليل حياتهم بسبب الأمور المختلفة ومن جانب الأشخاص الكثيرة كما يوم عاشوراء أصبح الإمام وأهل بيته ﷺ متألماً من جوانب المختلفة

كالقتل والغارة والإسارة وأيضا شاركوا في هذه الواقعة الأليمة الأعداء الكثيرة التي لا تحصى عددهم وكل هذا يعني تلك العمومية التي يدل عليها هذا الفعل المجهول. وفي النهاية جدير بالذكر أن نقول إن تضامن المفردات التي أختارها الشاعر ككلمة (سقيتم) بصورة مشددة ومفردات أخرى كـ (عللاً، المنأيا: بصورة الجمع، فمغبوق، مصبوح) يدل على كثرة وعظمة المصائب التي واجهها أهل البيت عليهم السلام أثناء حياتهم الطيبة.

وأيضاً نتمكن أن نعتبر لهذا الفعل المجهول دلالات أخرى منها عدم ذكر أهل البيت مع أعدائهم جنباً على جنب وتنزيه لسانه عن ذكرهم.

أحداث يوم عاشوراء:

إن الغرض الرئيسي لهاتين القصيدتين يتمحور حول الإمام الحسين عليه السلام ووقعة الطف بناء على هذا، فمعظم أبيات هذه القصيدة تتعلق بالوثائق والحقائق التاريخية لحادثة عاشوراء. يشير الشاعر إلى بعض الحوادث التي حدثت قبل شهادة الإمام كعطش الإمام وأصحابه وعدم نصرته الإمام وأهل البيت واغلاق الفرات وأيضا يشير إلى الحوادث التي حدثت بعد شهادة الإمام كسبي أهل البيت وإهانة يزيد لذلك الإمام الشهيد وضرب العصا على أسنانه ثم ينوح لفراقه ويهجو ويذم بني الأمية لعله يهدئ قلبه الحزين أو يشفي غليله وأحياناً يتمنى تواجده في عاشوراء لكي يجيب دعوة الإمام حين قال: "هل من ناصر ينصرني".

وجدير بالذكر أن نقول لا يسعى الشاعر أن يتكلم عن أحداث عاشوراء تأريخياً بل غرضه الرئيسي تذكير تلك المصائب التي مضت على الإمام والنواح عليه.

غربة الإمام:

أشار الشاعر إلى قصور الناس في نصرته الإمام وخذلانهم إياه ويعتقد بأن هذا العمل القبيح لا يضر الإمام لأن الأبطال سلالة هاشم نصروا الإمام وحاربوا أعدائه:

يا فارساً هاشمياً ما أضرب به تتأقل القوم إذ ناداهم روحوا
حتى نوى الفارس الحجاج يتبعه من هاشم الخير فرسان ججاج

(ابن شكيل، ١٩٩٨: ٤٨؛ اليونسي، ٢٠٠٤: ٤٥٤)

في هذا البيت يستخدم الشاعر كلمتين نكرتين (فارساً هاشمياً) كي تدل على العظمة ورفعة مقام الإمام هناك معنى ثانوي لاستعمال النكرة هو دلالتها على العظمة

والرفعة. (التفتازاني، ٢٠١٣: ٣٤٢) وأيضاً يستخدم حرف النداء (يا) كي يؤكد هذه الرفعة والعظمة لدلالته على العظمة كالنكرة.

نتمكن أن نقول يستخدم الشاعر كلمة (تثاقل) كي يشير إلى قوله سبحانه تعالى حينما يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (التوبة/٢٨) في هذه الآية المباركة يوبخ الله تعالى القوم الذين لا يقوموا بالجهاد في سبيل الله والإمام حسين عليه السلام وأيضاً كلما دعا القوم إلى الجهاد في سبيل الله رفضوا وعصوا الرحمن. فجدير بالذكر أن نقول إن السبيل الذي يهدي الإمام إليه الناس هو الحق نفسه والصراط المستقيم الذي يهدي سبحانه وتعالى عباده ويقول: انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وفي الآيات الآتية يؤاخذ الشاعر الناس لقصورهم في نصرة الإمام ونبذهم طريق الحق والجنة ويقول:

ضَلَّتْ حُلُومُ أَنَاسٍ كَيْفَ لَمْ يَرِدُوا نَارَ الْكِفَاحِ وَزَنَدَ الْحَرْبِ مَقْدُوحُ
أَمَّ الْحُسَيْنُ بِهِمْ عَدْنَا فَلَمْ يَلْجُوا بَابَ الْجَنَانِ عَيَاناً وَهُوَ مَفْتُوحُ

(ابن شكيل، ١٩٩٨: ٤٨؛ اليونسي، ٢٠٠٤: ٤٥٥)

من خلال تضافر الكلمات في البيتين السابقين نستنتج بأن الشاعر يذكر الملامح الإيجابية والألفاظ التي توحى بهذه الإيجابيات لبني هاشم ويذكر لأعدائهم الملامح السلبية والألفاظ التي توحى بهذه السلبيات. وبهذه الضفرة، يصور الشاعر الإيجابيات والسلبيات بلوحة فنية أمام المخاطب. والبيت الثاني يشير إلى الحديث النبوي «إِنَّ الْحُسَيْنَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ مَنْ عَادَاهُ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ رِيحَ الْجَنَّةِ» (البحراني، ١٤١٦: ٢٣٢/٣).

ويوبخ قريش في القصيدة الثانية لرضائهم بقتل الإمام وأصحابه:

رَضِيَتْ قُرَيْشٌ أَنْ تُقَتِّلَ هَاشِمٌ فَعَلَى قُرَيْشٍ بَعْدَ هَاشِمِ الْعَفَا

(ابن شكيل، ١٩٩٨: ٦٧؛ اليونسي، ٢٠٠٤: ٤٦٠)

إن الشاعر جاء بكلمة "تقتل" بدلا من "تقتل" لبيان كثرة القتلى من هاشم وفي الشطر الثاني في أسلوب إنشائي يذكر قريش بأن قتل بني هاشم يعني قتل قبيلة قريش بأكملها لأن أحسن وأفضل قريش هم بنو هاشم وسواهم من الفرق لا تثمن بثمن بني الهاشم.

شجاعة أصحاب الإمام:

رغم أن كثير من الناس في ساحة المعركة لم يمدوا يد العون للإمام، لكن عددا قليلا من أصحابه لقوا حتفهم في الدفاع عن دينهم وإمامهم ويصف الشاعر هؤلاء الفرسان في الحائية هكذا:

حَتَّى ثَوَى الْفَارِسُ الْحَجَّاجُ يَتَّبِعُهُ مِنْ هَاشِمِ الْخَيْرِ فُرْسَانُ جَحَاجِيحُ
لَمْ يَتَّقُوا الضَّرْبَ بِالْأَكْتَاغِ إِذْ صُرِعُوا بَلِ النَّجِيعُ عَلَى اللَّبَّاتِ مَنْضُوحُ
تَدَى الْوُجُوهُ نُجَيْعاً وَهِيَ مُشْرِقَةٌ كَأَنَّهَا فِي دُجَى الْهَيْجَا مَصَابِيحُ

(ابن شكيل، ١٩٩٨: ٤٨؛ البونسي، ٢٠٠٤: ٤٥٤)

إن الميزة الملحمة في هذه الأبيات هي الدالة على شجاعة أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ودلالة بعض المفردات كـ(الفارس، جحاجيح، الفرسان، الضرب، صرعوا، نجيع، دجى الهيجاء) تمثل روح الأبيات الملحمة. ومن مظاهر التوافق الصوتي المتجلى بين الحروف المختارة في الأبيات المذكورة، هي ما نحسّه من الشدة والخشونة باختيار المفردات والحروف المشددة والثقيلة كـ(ص، ض، ع، ج) لبيان شدة المصيبة وقوة الحرب، وهي من أقوى الأصوات وأشدّها تلفظاً تلائم روح الحرب المزوجة بالحزن المسيطر على شعره «ومجيء الأصوات القويّة، يوجد في كلمة دويّاً صوتياً عالياً يعزّز من دلالتها، ولا شك أن ارتفاع الصوت يزيد اللفظ دلالة وتأكيداً» (عكاشة، ٢٠٠٥: ٣٢).

ومن المصاديق الأخرى للتوافق الصوتي هو استخدام حرف "الحاء" في القوافي ويدلّ هذا الحرف على البوح والحزن والتحسّر وما يساعده في إحياء التحسّر العميق. (عباس، ١٩٩٨: ٧٦) فالشاعر بواسطة استخدام هذه التقنية الصوتية التي تفرض نفسها عبر استخدام الحروف والمفردات، تبرز روح الحزن والأسى وشدة ألمه لأنصار الإمام الحسين عليه السلام.

تجدد الإشارة إلى اختيار كلمة (الصراع) ودلالاتها في المعنى والمضمون بدلاً من الكلمات الأخرى التي من الممكن تعويض عنها. فالصراع هو تناقض الإرادات الوطنية والقومية. (مجموعة من المؤلفين، ١٩٩٨: ج٦/٤٢٨) وهو ناتج من الاختلافات والتناقضات بين أهداف الدول والصراع لا يتخذ فقط شكل المواجهة المسلحة، وإنما تتعدد أشكاله ومظاهره، كأن يكون سياسياً، أو اقتصادياً، أو دعائياً، أو تقنياً (برزيلاي، ١٩٩٦: ٥٥)، «والصراع تتعدد وسائله، كأن تكون حصاراً، أو تهديداً، أو تحالفاً، أو تحريضاً أو ضغطاً وتتعدد أسبابه، كأن تكون سياسية

أو اقتصادية أو إستراتيجية أو اجتماعية، وهو مرحلة تسبق الحرب، على ذلك ينطوي الصراع نضال مرتبط بالقيم، وبنظريات القوة» (جمال، ٢٠١٢: ٨٨). أمّا النزاع أكثر حول قضايا محددة، وهو أقل حدة من الصراع، وأقل شمولية في الاختلافات (عسكري، لا تا: ١٣٢). يستخدم الشاعر هذه الكلمة كي يصرح بأنّ أنصار الإمام الحسين عليه السلام كانوا موافقين لرأيه وفكره ومذهبه في الأمور المختلفة من القضايا الدينية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والصراف الذي يدعو إليه بكل إيمان وصدافة وكانوا متحالفين وشادين على ساعده بكل الشجاعة حتى نهاية الأمر.

منع الفرات:

قبل ثلاثة أيام من استشهاد الإمام الحسين عليه السلام ، منع عمر بن سعد الماء من الإمام (شيخ مفيد، ١٣٨٩: ١٢٧) يصور ابن شكيل هذه الحالة في فائتيه:

لا دَرَّ دُرُّ الْعَبَشِ مِيَّةً كَمَ لَهَا	مِنْ فَتْكَةٍ فِيهِمْ عَلَّتْ أَنْ تَوْصَفَا
لَوْ أَنَّ صَقْرًا فِي مَكَانِ أُمِّيَّةٍ	لَحِمًّا لَحَامَ عَلَى الْحُسَيْنِ وَرَفْرَفَا
أَوْ أَنْ لَيْثًا يَوْمَ خَرَّ مَكَانَهَا	غَرِثًا لَمَهَّدَ لِلْحُسَيْنِ وَالْطَفَا
أَوْ أَنْ سِرْبَ قَطَا غَدَاةَ شَاكَ الصَّدَى	وَأَفَاهُ مَجَّ لِوَرْدِهِ مَا اسْتَخْلَفَا

(ابن شكيل، ١٩٩٨: ٦٧؛ اليونسي، ٢٠٠٤: ٤٦١)

يعتقد الشاعر بأنّ الحيوانات أكثر وفاء من بني أمية ثم يدخل في المعركة ويتمنى تواجده في كربلاء حتى يسقى القتلى بماء عينيه. إضافة الى استخدام الصنعة المبالغية يضع الشاعر عينيه بدلا من الفرات تذكارا إياهم، ملبيا ندائه "شيعتي مهما شربتم ماء عذب فاذكروني":

مَنْعَوْهُ مَاءَ النَّهْرِ لَيْتَ مَدَامِي	مَعَهُ إِذَا لَسَقَى الرِّكَابَ وَلَا اشْتَمَى
إِنِّي لَأَشْرَقُ بِالزُّلَالِ تَذَكُّرًا	لَهُمْ وَأَقْلَقُ بِالنَّعِيمِ تَأْسُفًا

(ابن شكيل، ١٩٩٨: ٦٧؛ اليونسي، ٢٠٠٤: ٤٦١)

يصور الشاعر في هذا البيت ذروة حزنه على الكارثة التي حلت بالإمام وأصحابه وبرز هذا الحزن في شطر (إِنِّي لَأَشْرَقُ بِالزُّلَالِ تَذَكُّرًا) الذي يعتبر كناية لألم وحزن الشاعر.

بعد استشهاد الإمام أمر ابن زياد أن يرفعوا رأس الإمام على العصا ويطوفوا برأسه الشريف في الكوفة (شيخ مفيد، ١٣٨٩: ١٧٥؛ سيد بن طاووس، ١٣٨٣: ٢٣٤) يشير ابن شكيل لهذا ويعتبره أقبح الأعمال:

طافوا برأس ابن خَيْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ بِئْسَ الطَّوَافِ وَيَعْمَ الرَّأْسِ وَالرُّوحِ

(ابن شكيل، ١٩٩٨: ٤٨؛ اليونسكي، ٢٠٠٤: ٤٥٥)

نرى في المصراع الأول أسلوب كناية الصفة عن الموصوف إن البلاغيين يعتقدون بأن أحد أغراض هذا الأسلوب، دلالة على الهيبة والإجلال (التفتازاني، ١٤٣٤: ٦٣١-٦٣٢) إن الشاعر يستخدم في المصراع الأول من التركيب (برأس ابن خَيْرِ النَّاسِ) كي يشير إلى نسب الامجاد الذين كانوا أحسن الناس فهذا التركيب بين جريمة أعدائه أكثر فأكثر.

وفي القصيدة الفائية يربط الشاعر العلاقة بين هذا الموضوع والأحداث التاريخية كحرب

الصفين وحديث الثقلين:

يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ كَانَ عَلَى الْعَصَا رَأْسُ الْحُسَيْنِ وَنُورُهُ كَيْفَ انطَفَأَ
إِنْ يَرْفَعُوا رَأْسَ الْحُسَيْنِ فَتَقَبَّلَهُ رَفَعُوا لَوَاذًا مِنْ أَبِيهِ الْمُصْحَفَا

(ابن شكيل، ١٩٩٨: ٦٧؛ اليونسكي، ٢٠٠٤: ٤٦١)

إن الشاعر قد اندهش لرفع رأس الحسين على العصا ولكنه فوراً فسر هذه الدهشة معتقداً بأنه ليس جسيماً على يزيد وعملائه هذه الجرائم البشعة والتمثيل بالرأس الشريف ويعتبرها علامة ضعفهم وجبنهم لأنهم رفعوا القرآن على الرمح قديماً خوفاً من الإمام علي عليه السلام. كأنه يريد أن يشبه بين القرآن والإمام الحسين عليه السلام كقرآن ناطق وفيواسطة فن التلميح، أشار إلى حديث الثقلين وعدم انفكاك القرآن وأهل البيت في الكوارث.

الإهانة على الرأس المرفوع:

من الأحداث المبررة بعد عاشوراء هي مجالس ابن زياد في الكوفة ويزيد في الشام وكل واحد منهما قد أضاف على محن أهل البيت ومعاناتهم على رغم أن خطب زينب عليها السلام والإمام سجاد عليه السلام البليغة تؤدي إلى الإفتضاح واسوداد اليزيديين. أحد من أصعب المعاناة التي مضت على أهل البيت بعد استشهاد الإمام، هي إهانة يزيد رأس الإمام وهو ضرب بالعصا على شفتيه وأسنانه. الشفة التي قبلها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا تتكلم إلّا الحق. (سيد بن طاووس، ١٣٨٣: ٢٣٤) إن بعض من المؤرخين قد نسبوا هذا العمل القبيح إلى ابن زياد (شيخ مفيد، ١٣٨٩: ١٧١). وربما كلاهما ارتكبا هذا العمل القبيح كي يكون مرهماً لجروح وأحقاد البدر والحنين ويشير شاعرنا إلى هذا العمل القبيح من قبل اليزيديين:

أَمْ كَيْفَ تُقْرَعُ بِالْقَضِيْبِ تَيْبَةً كَأَنْتَ مَلَأْتِ الْمَلَأَ لِلنَّبِيِّ وَمَرَشِفَا

(ابن شكيل، ١٩٩٨: ٦٧؛ اليونسكي، ٢٠٠٤: ٤٦١)

استخدم الشاعر الفعل المجهول في هذا البيت وذكر العلماء بعض الأغراض لهذا الأسلوب في الكتب النحوية والبلاغية منها: عدم تعلق غرض بذكر الفاعل (التفتازاني، ٢٠١٣: ٢١٣-٢١٤؛ الغلابي، ١٤٢٥: ٣٤٤) في هذا البيت أيضاً لم يذكر الشاعر الفاعل لهذا الغرض لأن الغرض الأصلي لدى الشاعر هو ذكر عظمة هذه الفاجعة ومن الممكن أن نذكر غرضاً آخر وهو عدم ذكر الفاعل تنزيهاً للسانه من ذكره وأيضاً عدم ذكر اسم الإمام، جنب اسم يزيد واليزيديين. هجاء بني أمية:

عادة ما يندمج الهجوم مع الرثاء في القصائد التي تعبر عن قضية عاشوراء، فيكون الهجاء لأقبح الناس والرثاء لأحسن الناس. كأن الفن البديعي الذي يسيطر على هذه القصائد هو الاستطراد. وليست قصائد ابن شكيل خالية من هذا الفن البلاغي. دفعت الأحداث التاريخية المذكورة الشاعر نحو هجاء أعداء أهل البيت، ضمن رثائهم. لعن الشاعر بني أمية وابن ملجم بعد أن يشير إلى شهادة الإمام علي عليه السلام في قصيدته الفائية وحيث رصف هذه الأعمال القبيحة والشنيعية:

شُلت يمين المُلجَمي فَإِنَّهُ
أرت الشَّماتة بالوَصِي أميَّة
وَدت أميَّة لَو يُصَابُ بِسَيفِها
أشفاكم من يوم بدرٍ قتلُهُ
تَرَكَ الإمامةَ بالإمامِ عَلى شَفا
لا سَرها قَتَل الوَصِي ولا شَفا
يَكفِيكَ جَمراً يا أميَّة لَو كَفَا
تلكَ الشَّهادةُ ما بِذلكَ مَن خَفا

(ابن شكيل، ١٩٩٨: ٦٦؛ البونسي، ٢٠٠٤: ٤٦٠)

في القصيدة نفسها يلعن قريش لعدم مساعدة الإمام عليه السلام:

رَضِيَت قُريشٌ أن تُقتَلَ هاشِمٌ
فَعَلَى قُريشٍ بَعَدَ هاشِمِ العَفا

في هذه القصيدة التفت هجاء الشاعر نحو قبيلة عبد الشمس وبني الأمية الذين لا يقدر اللسان أن يصف جرائمهم بحق أهل البيت. ينكب الشاعر هذه القبائل بهجائه اللاذع حتى يصفهم بالحيوانات بل هم أضل:

لا دَرُّ الدُّرِّ العَبْشَمِيَّةِ كَمَ لَها
لَو أن صَقراً في مَكانِ أميَّة
أو أن لِيثاً يَومَ خَرَّ مَكانَها
أو أن سِرْبَ قَطَا عَدَاةَ شَكا الصدى
مِن فَتَكَةِ فَيهِمِ عَانتَ أن تَوصَفا
لَجِماً لِحامِ عَلى الحُسَينِ وَرَفَفا
غَرثاً لَمَهَّداً لِلحُسَينِ وَالطَفا
واقاهُ مَجَّ لِوَرَدِهِ ما اسْتَخَلَفا

(ابن شكيل، ١٩٩٨: ٦٧؛ البونسي، ٢٠٠٤: ٤٦١)

يستمر هكذا الهجاء في القصيدة الحاثية حيث أطلق عنان الهجاء نحو أبي سفيان وعائلته وعبيد الله بن زياد:

أَمَّا ابْنُ حَرْبٍ فَدَعِ حَرْباً وَأُسْرَتَهُ تِلْكَ الْجُسُومُ لَوْ أَنَّ الْعِرْضَ مَمْدُوحٌ
طَافُوا بِرَأْسِ ابْنِ خَيْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ بِنَسِ الطَّوَافِ وَنِعَمِ الرَّأْسِ وَالرُّوحِ
وَلَسْتُ أَبْسُطُ قَوْلًا فِي دَعِيهِمْ كُلُّ الدَّعِيِّينَ مَلْعُونٌ وَمَقْبُوحٌ

(ابن شكيل، ١٩٩٨: ٤٨-٤٩؛ البونسي، ٢٠٠٤: ٤٥٥)

الفرق بين هجاء الشاعر في هذه القصيدة مع القصيدة السابقة هو الصراحة والوضوح لأنه في هذه الأبيات يذكر الشاعر اسم الأعداء اللدودين لأهل البيت كي يفضحهم. عدد الأبيات التي تضم الهجاء في هذه القصيدة، هو أقل من القصيدة السابقة. في القصيدة السابقة يوبخ الشاعر القبيلة كلها لعداوتهم لأهل البيت ولكن في هذه الأبيات، إضافة على المؤاخزة والعتاب، هجم على أصولهم ويفضحهم على الرغم من أنه لا يريد أن يلوث لسانه وألفاظه بأسماءهم، فإنه لا يوسع خطابه ويشير إلى فضيحة منهم فحسب. نرى في هذا البيت التقابل بين كلمتي (ابن الحرب) و(ابن الخير) وهذا التقابل في المعنى، يدل على تقابل شخصيتي حسين بن علي وأبي سفيان.

حب آل بيت النبي ﷺ

ينبع شعر الطف من حب أهل بيت النبي ﷺ. يبين ويظهر ابن شكيل في قصائده حول قضية عاشوراء، حبه لأهل البيت ففي قصيدته الفائية يتحدث عن هذا الحب حيث يختم قصيدته بهذا الحب:

إِيهًا حَدِيثًا عَن فُؤَادِي إِنَّهُ ذَكَرَ الرَّسُولَ وَأَلَّهُ فَتَشَوُّفًا
مَا لِي طَرِبْتُ بِذِكْرِهِمْ فَكَأَنِّي عَاقَرْتُ مِمَّنْ ذَكَرِ الْأَحْيَةَ قَرَقَمًا
أَقِمِ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ فَإِنَّهَا تَذُرُ الذُّنُوبَ الشُّمَّ قَاعًا صَفْصَفًا
صَلَّى إِلَهَهُ عَلَى النَّبِيِّ وَأَلَهُ مِنْ ضَمِّ خَمْسَتِهِمْ كِسَاءً قَدْ صَفَا
يَا رَبِّ إِنِّي قَدْ أَنَسْتُ بِحُبِّهِمْ فَاجْعَلْهُمْ لِي عَن سِوَاهُ مَصْرِفًا

(ابن شكيل، ١٩٩٨: ٦٧-٦٨؛ البونسي، ٢٠٠٤: ٤٦١)

إن الشاعر يعتبر حبه حياً مقدساً كما لوح كميته بن زيد الأسدي بهذا الموضوع في هاشمياته وفي البيت الثالث يستخدم الشاعر صنعة الاقتباس للتعبير عن تأثير السلام والصلوات على

النبي ﷺ في غفران الذنوب مستقيداً بآية: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً﴾ (طه/١٠٦). وفي بيت آخر يعرف هذه أهل البيت وبواسطة فن التلميح، يشير إلى حديث الكساء. وينهي قصيدته الحائية بمخاطبة عينه ولسانه يقومان بالبكاء والثناء على الإمام الحسين عليه السلام:

يا عينُ جودي على قتل الحسينِ دماً وابكي جهاراً فإنَّ الوجدَ تصریحُ
ويا لساني عاود مدحَه أبداً وإنَّ أيسرَ ما فيه الأمادیحُ

(ابن شكيل، ١٩٩٨: ٤٩؛ اليونسي، ٢٠٠٤: ٤٥٥)

مذهب الشاعر

بعد دراسة هاتين القصيدتين، هناك سؤال يطرح نفسه على الساحة. أ من الممكن هذه القصائد أن تثبت تشيع الشاعر؟ ربما يخطر على بال القارئ أن شعر عاشوراء في قصائد الشاعر ليس منبعثاً عن تشيعه وهو ككل مسلم حقيقي يحب أهل البيت وتتبع هذه الأشعار من هذا العين. بناء على رأي الدكتورة قارة، تدلّ هذه الأبيات على الاتصال الوثيق بين التشيع والتصوف. (ابن شكيل، ١٩٩٨: ٢٨) دون أيّ تعصّب جدير بأن نقول المضامين والمفاهيم المتواجدة في هذه الأبيات هي آراء ومعتقدات وأفكار شائعة بين أهل السنة والشيعة ولا تتمكن أن تكون حجة على تشيع الشاعر. أما في القصيدتين اللتين أنشدتا حول أهل البيت وتطهيرهم فيشير الشاعر فيهما إلى خلافة الإمام علي عليه السلام ويذكر أسبابها كحديث الكساء، وآية التطهير، وحديث المنزلة، وقضية الأخوة بين النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام، وشجاعة الإمام علي عليه السلام وعدالته في إثبات حقانية هذه الخلافة وصحتها. (انظر: عمراني پور، ١٣٩٦) أساساً إلى هاتين القصيدتين نتمكن أن نحكم بتشيع ابن شكيل وبأن قصائده حول الطف، تتبع من عقيدته.

النتائج

بعد دراسة قصيدتي الشاعر، نتمكن أن نستنتج بعض النقاط منها:
ألف) حينما ندرس قصائد الشاعر حول وقعة عاشوراء نرى أنها إضافة على أوصافها الدقيقة ومضامينها الرصينة تنعكس آراء الشاعر وكيفية اختيار المفردات والتراكيب والتقديم والتأخر والأساليب البلاغية في الأبيات.

- ب) حينما ندرس القصيدتين المتمحورة حول ملحمة عاشوراء نرى بأن هاتين القصيدتين تتميز بميزة العطفة والصدقة. ومرجع هذه الأشعار تشيع الشاعر
- ج) لغة الشاعر هي لغة بسيطة وسلسة رغم أن شعره ليس خالياً من الأساليب البلاغية، لا يعاني من تكلف اللفظ والأساليب البلاغية الغريبة الصعبة ونقدر أن نعتبر هذه الأساليب لخدمة المعنى.
- د) المصائب التي جرت على الإمام الحسين عليه السلام لها أثر عميق وعظيم في نفس الشاعر حيث أشار إلى هذه المصائب في شعره وبكى عليها وهذا يدل على إخلاص الشاعر وهذا الإخلاص يمكن أن يكون علامة حبه الحقيقي ومذهبه الشيعي.
- هـ) إن هجاء الشاعر لأعداء أهل البيت، بارز في قصيدته بنمط الصراحة والوضوح. يوجه هذا الهجوم إلى القبيلة كلها ومرة أخرى إلى الأشخاص الذين وجهوا سهام عداوتهم نحو الإمام الحسين عليه السلام.
- و) كانت قصائد ابن شكيل، تحمل في طياتها توظيفاً لأي القرآن الكريم لكي يجلب انتباه المتلقي، ويثير فيه الإعجاب والتأمل، فقد كانت المعاني القرآنية واضحة كل الوضوح في شعره وهذا يدل على معرفة الشاعر بالقرآن ودليلاً على ثقافته الدينية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن الأبار، أبو عبد الله محمد (١٤٠٦هـ). *تحفة القادم*. تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
٢. _____ (١٩٥٦م). *التكملة لكتاب الصلة*. نشره: عزت العطار الحسيني.
٣. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله (١٣٧٤ش). *علويات سبع*. ترجمة: عبد المحمد آيتي، طهران: نشر بشارت.
٤. ابن شكيل، أبو العباس أحمد (١٩٩٨م). *أبو العباس أحمد بن شكيل الأندلسي شاعر شريش*. تحقيق: حياة قارة، أبوظبي: المجمع الثقافي.
٥. ابن طباطبا العلوي، أبو الحسن محمد (٢٠٠٥م). *عيار الشعر*. شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر، ط ٢، بيروت: دار الكتب العلمية.
٦. ابن منظور، محمد بن مكرم (١٤١٤هـ). *لسان العرب*. ط ٣، بيروت: دار صادر.
٧. أبو تمام، حبيب بن أوس (لا تا). *ديوان أبو تمام بشرح الخطيب التبريزي*. تحقيق: محمد عبده عزام، ج ٢، ط ٥، القاهرة: دار المعارف.
٨. البحتري، الوليد بن عبيد (لا تا). *ديوان البحتري*. تحقيق: حسن كامل الصيرفي، ط ٣، القاهرة: دار المعارف.
٩. البحراني، سيد هاشم (١٤١٦هـ). *البرهان في تفسير القرآن*. طهران: مؤسسة بعثت.
١٠. برزيلي، جاد (١٩٩٦م). *الحروب والصراعات الداخلية والسياسة للطلب: نيويورك، جامعة برس*.
١١. البلفيقي، أبو إسحاق إبراهيم (١٤٠٢هـ). *المقتضب من تحفة القادم*. تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط ٢، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
١٢. البونسي، أبو إسحاق إبراهيم (٢٠٠٤م). *كنز الكتاب ومنتخب الأداب*. تحقيق ودراسة: حياة قارة، أبوظبي: المجمع الثقافي.
١٣. التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر (٢٠١٢م). *شرح المطول*. تحقيق: عبد الحميد هندراوي، ط ٣، بيروت: دار الكتب العلمية.
١٤. جمال، سلامة علي (٢٠١٢م). *مبادئ العلوم السياسية، اقتراب واقعي من المفاهيم والمتغيرات*. بيروت: دار النهضة العربية.

١٥. الزركلي، خيرالدين (٢٠٠٢م). *الأعلام*. ج ١، ط ١٥، بيروت: دار العلم للملايين.
١٦. السامرائي، فاضل صالح (١٤٢٣هـ). *معاني النحو*. القاهرة: شركة العاتك لصناعة الكتاب.
١٧. سيد بن طاووس، رضي الدين علي بن موسى (١٣٨٢ش). *لهوف*. ترجمة: عليرضا رجالي تهراني، ط ٦، قم: انتشارات نبوغ.
١٨. الشيخ الصدوق، محمد بن علي (ابن بابويه) (١٣٨٥ش). *علل الشرائع*. قم: داوري.
١٩. شيخ مفيد، محمد بن محمد (١٣٨٩ش). *الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد*. ترجمة وشرح: سيد هاشم رسولي محلاتي، ج ٢، ط ٩، طهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامي.
٢٠. الصفدي، صلاح الدين خليل (١٤٢٠هـ). *الوفاة بالوفيات*. تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، ج ٨، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٢١. الصنوبري، محمد بن الحسن (١٩٩٨م). *ديوان الصنوبري*. تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر.
٢٢. عباس، حسن (١٩٩٨م). *خصائص الحروف العربية ومعانيها*. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
٢٣. عسكري، أبو هلال (لا تا). *الفروق في اللغة*. بيروت: دار العلم.
٢٤. عكاشة، محمود (٢٠٠٥م). *التحقيق اللغوي في ضوء علم الدلالة*. القاهرة: دار النشر للجامعات.
٢٥. عمرانى پور، مجتبی (١٣٩٦ش). «بازتاب اندیشه های شیعی در اشعار ابن شکیل اندلسی». *مجلة شيعه شناسي*، قم، السنة ١٥، العدد ٥٨، صص ١٥٧-١٨٣.
٢٦. الغلاييني، مصطفى (١٤٢٥هـ). *جامع الدروس العربية*. طهران: دار الكوخ للطباعة والنشر.
٢٧. القرطاجني، أبي الحسن حازم (٢٠٠٨م). *منهاج البلغاء وسراج الأدباء*. تونس: دار العربية للكتاب.
٢٨. مجاهدي، محمد علي (١٣٧٩ش). *شكوه شعر عاشورا*. قم: مركز تحقيقات إسلامي.
٢٩. المجلسي، محمد باقر (١٤٠٣هـ). *بحار الأنوار*. ط ٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٣٠. مصطفى، إبراهيم؛ والآخرون (١٩٨٩م). *المعجم الوسيط*. أسطنبول: دار الدعوة.
٣١. المغربي، علي بن سعيد (١٩٨٧م). *رايات المبرزين وغايات المميزين*. تحقيق: محمد رضوان الداية، دمشق: دار طلاس.

٣٢. _____ (١٩٧٨م). *المغرب في حلى المغرب*. تحقيق: شوقي ضيف، ط ٣، القاهرة: دار المعارف.
٣٣. المقرئ التلمساني، أحمد بن محمد (١٣٩٨هـ). *أزهار الرياض في أخبار عياض*. تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي، ج ٢، أبوظبي: اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي.
٣٤. _____ (١٩٦٨م). *نصح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*. تحقيق: إحسان عباس، ج ٤، بيروت: دار صادر.
٣٥. النبهان، عبدالإله (١٤٢٣هـ). «نظرات في كتاب أبوالعباس أحمد بن شكيل الأندلسي». مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، الأردن، السنة ٢٦، العدد ٦٣، صص ١٥١-١٦٨.